جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

دَمَاذ: راويةُ أبي عبيدة وصاحبُه... حياته ومروياته وموقفه من إضمار (أنْ)

عامر فائل محمد بلحاف

أستاذ مشارك
قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب بشرورة
جامعة نجران
المملكة العربية السعودية
amer.fael@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/١/٢٢
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٨/٣/٢٤

دَمَاذ: راويةُ أبي عبيدة وصاحبُه... حياته ومروياته وموقفه من إضمار (أنْ)

عامر فائل محمد بلحاف

الملخص:
سعى هذا البحث إلى التعريف بشخصية لغوية مغمورة لم تحظَ بنصيب وافر من الشهرة، وهي رفيع بن سلمة العبدي المعروف بـ (دَمَاذ) راوية أبي عبيدة معمر بن المثنى وصاحبه، والناقل عنه ما تيسّر له من لغة وأخبار وأيام وأنساب، مستعينًا بالرواية عنه تارةً، وبتوريق كتبه تارةً أخرى، وقد تألفت هذه الدراسة من ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة؛ أمَا المبحث الأول فخُصّص لحياة دماذ (اسمه ونسبه وكنيته ولقبه، وعلاقته بأبي عبيدة، وصفاته، ومنزلته، ووفاته)، وأمَا المبحث الثاني فتكلم عن مروياته (موضوعاتها، فمصادره في روايتها، فشواهده فيها، فقيمتها اللغوية)، وأمَا المبحث الثالث فعنى بتفصيل القول في موقفه من مسألة نحوية هي مسألة إضمار (أنْ) مع الفعل المضارع المسبوق بالفاء أو الواو أو أو، مع الاهتمام بذكر آراء النحاة فيها، وإيراد الأصول العامة التي اعتمدوها في هذا الإضمار، وقد تضمنت خاتمة البحث أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، لعلّ من أهمها: التعريف بهذه الشخصية في أوساط الدارسين، وتقديمها للباحثين في مجال اللغة والنحو، اعترافًا بما قدمته لنا من تراث، وعرفانًا بما حفظته لنا من لغة.

الكلمات المفتاحية: دَمَاذ، المرويات، إضمار أنْ.

Damath, The Companion and Narrator of Abu Obaidah, His Life, His Narrations and His Empirical View Towards Implied (ān)

Amer Fael Mohammed Balhaf

Abstract:
This paper attempts to introduce a linguist who didn't obtain the fame and fortune, Rafeea Bin Salamh Alabdi, known as (Damath), the companion and the narrator of Abu Obaidah Muammar bin Almuthanna; from whom he narrated and learned the language, events, history, and genealogy, by means of narrating on one hand, and through writing down his books on the other one. This study consists of three sections, introduction and a conclusion. The first section is about Damath: his name, nickname, surname, pedigree, his relationship with Abu Obaidah, his features, rank and then his death. The second section is about his narrations (topics of his narrations, his references, quotations and their linguistic values). The third section is about a grammatical issue linked to implied (ān) with the present tense preceded by fa, waw or Aw focusing on the opinions of the grammarians about the problem and on the general principles which had been applied in this implication. The study concluded with important findings such as introducing an unknown linguist to the researchers in the linguistics and grammatical fields, in acknowledgement of his scientific heritage and linguistics contribution.

Keywords: Damath, Narrations, Implied ān.

مقدمة:

للتراث العربيّ الإسلاميّ قيمةٌ بشريةٌ كبرى تتبدى فيما حفل به من موروث علميّ، كبير رسم علامةً فارقةً في الحضارة الإنسانية، ساعده في ذلك لغةٌ حيةٌ نابضةٌ بكل ما هو بديع وجميل، وقد تجلى هذا التراث في مكتبة مثالية لم يرَ العالم لها مثيلاً، ترتدّ بداياتها إلى فجر التاريخ حين بدأت حركة التدوين عند العرب في القرن الهجريّ الأول، فظهور المصنفات في القرن الثاني، فازدهار العلوم في القرنين الثالث والرابع وما تلاهما.

وقد ظهرت هذه العلوم -لغويةً كانت أم غير لغوية- على يد علماء اعتمدوا المشافهة أولاً طريقًا للمعرفة، ولم تكن عنايتهم بتدوين كتبهم بأيديهم على ما يبدو كبيرة، بل كان اعتمادهم الأول على رواة نقلوا ما تيسّر لهم عن طريق الحفظ، وقد يتاح لبعضهم أن يدوّنوا ما يسمعون في كتبٍ أو يقيّدوه في أوراق، لتلمع في ذلك التراث أسماء رواة طارت شهرتهم في الآفاق، وفي المقابل أُهمل بعضهم فلم يحظوا بنصيبٍ وافر من الشهرة.

لذا يحاول هذا البحث أن يعرّف براوية لغويّ ترك أثرًا في حقل الرواية اللغوية، إذ أخذ عنه عددٌ من أساطين اللغة العربية، ووُصف بصفات تدل على منزلةٍ علميةٍ ليست بالقليلة، ذاك هو رفيع بن سلمة العبدي المعروف بـ (دَمَاذ) راوية أبي عبيدة وصاحبه، مَنْ أخذَ عنه الأخبار والأنساب والأشعار، ونقلها عنه بأمانة وثقة وصدق، فخصّص المبحث الأول لحياته، والثاني لمروياته، والثالث لموقفٍ نحويّ اتخذه من مسألة إضمار (أنْ) عند البصريين، وإنّما استقام البحث على هذه المباحث الثلاثة دون غيرها؛ لأنّها مُجمل ما أُثر عن دماذ في المظان التي تحدثت عنه، إذ لا تذكر لنا شيئًا آخر غير هذه العناصر.

إنّ قيمة هذه الدراسة تتجلى في التعريف بشخصية لغوية مغمورة، والكشف عنها وتقديمها للباحثين في مجال اللغة والنحو، اعترافًا بما قدمته، وعرفانًا بما حفظته، وتنزيلاً لها منزلتها التي تستحقها.

المبحث الأول: حياته:

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

من أوائل المصادر التي عنتْ بالترجمة لـ (دَمَاذ) كتاب الفهرستلابن النديم (ت ٣٧٧ هـ) إذْ قال: "ومن أصحاب أبي عبيدة دماذ أبو غسّان، واسمه: رفيع بن سلمة بن مسلم بن رفيع العبدي" (ابن النديم، ٢٠٠٩: ١٥٣)، ووضعه الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) في الطبقة الخامسة من طبقات اللغويين البصريين، وقال في ترجمته له: "هو أبو غسّان رفيع بن سلمة المعروف بدماذ" (الزبيدي، ١٩٨٤، ١٨١/١)، ولا تذكر هذه المصادر لدماذ كنيةً غير أبي غسّان؛ ذكر ذلك ابن النديم في فهرسته، والزبيدي في طبقاته، والبكري (ت٤٨٧ هـ) في شرح أمالي القالي، والفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) في البلغة، وابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في نزهة الألباب (ينظر: ابن النديم، ٢٠٠٩: ١٥٣، والزبيدي، ١٩٨٤، ١٨١/١، ، والبكري، ١٩٧٥، ٨٧/٢، والفيروزآبادي، ٢٠٠٠: ١٣٧، وابن حجر، ١٩٨٩، ٢٦٦/١)، كما تذكر له لقبًا واحدًا اشتُهر به هو (دَمَاذ)، وقد اتفق أغلب من ترجم له أنّه لفظ فارسي معناه (الفسيلة)، قال ياقوت (ت ٦٢٦ هـ): "ودماذ لقبٌ معناه الفسيلة" (الحموي، ١٩٩٣، ١٣٠٧/٣)، وقال الصفدي (٧٦٤ هـ): "وكان يُلقّب دماذًا ومعناه الفسيلة" (الصفدي، ٢٠٠٠، ٩٤/١٤)، وخالف عبد العزيز الميمني فجعل المعنى (الخَتَن)، كما ضبط لفظه فقال: "دَمَاذ يُضبط كسَحَاب، وهكذا يلزم، وهو بالفارسية داماذ ومعناه الخَتن" (الميمني، ١٩٩٥، ٢١٦/١).

والملاحظُ على هذه المظان التي ترجمت للرجل أنّها لم تتوسع في ذكر تفاصيل وافية عنه، فهي لم تذكر لنا زمنًا لميلاده أو مكانا، ولا طرفًا من نشأته أوطلبه للعلم، كما سكتتْ جميعها عن وفاته فلم تورد لنا تاريخًا له على ما سيأتي.

ثانيًا: علاقته بأبي عبيدة:

تطالعنا المصادر العلمية بعدد من الصفات التي ترسم العلاقة بين صاحبنا دماذ واللغوي الشهير أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)، إذ تصف الأول بالكاتب والصاحب والراوية والورّاق، وما من شكّ في أنّ اجتماع هذه الصفات يدلّ على علاقة علمية بين الرجلين أساسها دراسة اللغة والعناية بالأدب وتداول الأخبار. قال الزبيدي في معرض ترجمته لدماذ: "وكان كاتب أبي عبيدة في الأخبار، وكان أوثق الناس عن أبي عبيدة في الأخبار" (الزبيدي، ١٩٨٤، ١٨١/١)، ووصفه ابن النديم بالراوية والورّاق فقال: "روى عن أبي عبيدة، وكان يورّق كتبه، وأخذ عنه الأنساب والأخبار" (ابن النديم، ٢٠٠٩، ١٥٣)، ووصفه أبو عبيد البكري بالصاحب والورّاق فقال: "صاحب أبي عبيدة وورّاقه، أخذ عنه الأنساب والأخبار" (البكري، ١٩٧٥، ٢/ ٨٧)، ووصفه الفيروزآبادي بالكاتب فقط فقال: "وكان كاتب أبي عبيدة، وأوثق الناس عنه" (الفيروزآبادي، ٢٠٠٠: ١٣٧)، كما وصفه ابن حجر بالصاحب فقط فقال: "هو رفيع بن سلمة اللغوي صاحب أبي عبيدة، يُكنى أبا غسان" (ابن حجر، ١٩٨٩، ٢٦٦/١).

والظاهر أنّ هذه الأوصاف ليست من باب الترادف، بل إنّ كلّ واحدة منها تدل على مهمة أداها دماذ، فهو الكاتب في حضرة أبي عبيدة، وهو الورّاق الذي يورّق له كتبه، وهو الراوية الذي روى عنه اللغة والأخبار والأنساب والمآثر ونقلها عنه، وهو بعد ذلك الصاحب الذي لزم أستاذه ولازمه في رحلة علمية لغوية، شأنه في ذلك شأن الكثير من التلاميذ الذين لزموا أساتذتهم، فأفادوا منهم ونقلوا علمهم لغيرهم، ويبدو أنّ هذه الصحبة التي امتدت لزمن ليس بالقصير هي التي حدتْ ببعض الباحثين لوصف دماذ بالورّاق الخاص، قال عبد السلام هارون: "وكما كان هناك ورّاقون قد نصّبوا أنفسهم لهذه الصناعة في السوق، كان هناك ورّاقون خاصون، فمنهم دماذ أبو غسّان، كان يروي عن أبي عبيدة، وكان يورّق كتبه، وأخذ عنه الأنساب والأخبار والمآثر" (هارون، ١٩٦٥: ٢٣).

وتطالعنا مصادر أُخر بروايات ترسّخ هذه العلاقة بأنْ تنصّ على وجود خط دماذ في مسائل وكتبٍ وروايات، وتصعد أولى هذه الروايات إلى المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) عند حديثه عن ضبط لفظ شخص اسمه (قرين) إذ قال: "قال أبو الحسن الأخفش: قال أبو العباس: قَرين، ووجدتُهُ بخط دماذ رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة: قُرين" (المبرّد، ١٩٩٢: ٤٦٢)، ونقل السيوطي (ت ٩١١ هـ) فائدة في

شرحه لشواهد المغني فقال : "فائدة: في شرح ديوان الأعشى للآمدي قال أبو الحرة: وجدتُ على ظهر كتاب المجاز لأبي عبيدة بخط أبي غسّان رفيع بن سلمة المعروف بدماذ صاحب أبي عبيدة..." (السيوطي، ١٩٦٦، ٩٦٨/٢). وكما اقترن اسم دماذ بأبي عبيدة عند المتقدمين من علماء اللغة اقترن كذلك به عند المعاصرين من الباحثين؛ فعبد السلام هارون حين تحدث عن نوادر المخطوطات أتى على ذكر كتاب العَقَقَة والبَرَرَة لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ونصّ على أنّه برواية أبي غسّان رفيع بن سلمة العبدي (ينظر: هارون، ١٩٧٣، ٣٥١/٢).

إنّ خير وصفٍ لعلاقة دماذ بأبي عبيدة أنّها كانت صحبةً علميةً لغويةً، أفاد منها دماذ أيّما فائدة، وراح ينقل فيها عن أبي عبيدة ما تيسّر له من لغة وأخبار وأيام وأنساب، مستعينًا بالرواية تارةً، وبتوريق الكتب تارةً أخرى، ناقلاً بذلك ذخائر ونفائس من التراث العربي والإسلامي.

ثالثًا: صفاته:

أجمعتْ الكتب التي عنت بالترجمة لدماذ أنّه كان ثقةً صدوقًا أمينًا، وكان أوثق الناس عن أبي عبيدة فيما ينقل من أخبار (ينظر: الزبيدي، ١٩٨٤، ١٨١/١، وابن النديم، ٢٠٠٩: ١٥٣، والبكري، ١٩٧٥، ٢/ ٨٧، والفيروزآبادي، ٢٠٠٠، ١٣٧)، ولم يتوقف عمله عند الرواية والنقل فقط؛ بل كان "له بصر في الأخبار والأنساب" (ابن غيهب، ١٩٨٧: ٢١٤) أيضًا، ولا يُطالعنا أي مصدر من هذه المصادر بما يقدح في صدقه وأمانته أو يتهمه بالزيادة والتحريف في زمنٍ تجاوز فيه بعض الوراقين مهمتهم الأصلية إلى صناعة التأليف بحسب ما ذكر عبد السلام هارون (ينظر: هارون، ١٩٦٥: ٢٣)، وما قد يستتبع هذه الصناعة من زيادة أو نقص أو عدم تحري الدقة فيما يُنقل.

قال ابن النديم: "كانت الأسمار والخرافات مرغوبًا فيها مشتهاة في أيام خلفاء بني العبّاس، فصنّف الورّاقون وكذبوا، فكان ممّن يفتعل ذلك رجل يُعرف بابن دلّان، واسمه: أحمد بن محمد بن دلّان، وآخر يُعرف بابن العطّار وجماعة" (ابن النديم، ٢٠٠٩: ٣٧٣).

ولدماذ صفةٌ أخرى لم يُعنَ بها كثيرٌ ممّن ترجموا له وذكرها ياقوت فقال: "وكان شاعرًا هجّاءً خبيث اللسان، فلمّا أسنّ أنكر ما هجا به الناس" (الحموي، ١٩٩٣، ١٣٠٨/٣)، ولا تحفظ لنا المصادر شيئًا من شعر الهجاء هذا أو من غيره، باستثناء بيتي غزلٍ لا يظهرانه مجيدًا في هذا الفن هما:

شغلي عن الناس بإنسانِ	علّق قلبي وتناساني
موّه بباب الحبِّ حتى إذا	سقطتُ في الصبوةِ خلاني

كما تحفظ لنا قطعة شعرية في مسألة إضمار (أنْ) بعث بها إلى أبي عثمان المازني، وترد في المبحث الثالث من هذه الدراسة.

رابعًا: منزلته:

حاز دماذ منزلة لغوية رفيعة في عصره، إذ اتصل به عدد من أرباب اللغة، وأخذوا عنه الأخبار والأنساب والمآثر، لعلّ في مقدمتهم أبا عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ) إمام نحاة البصرة في عصره، وأبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٠ هـ) العالم اللغوي المقرئ. قال الزبيدي: «وكان أبو حاتم إذا ذوكر في شيء منها -أي الأخبار- قال: عليكم بذلك الشيخ، يعني أبا غسّان، ويُقال: إنّ المازني نقل قدميه إلى أبي غسّان يسمع منه الأخبار" (الزبيدي، ١٩٨٤، ١٨١/١)، وأضاف البكري: "سمع منه السُكري والمازني ويموت بن المزرع" (البكري، ١٩٧٥، ٢/ ٨٧).

إنّ المدقق في الأسماء التي أَخَذت عن دماذ سيجدها أسماءً ملأت الدنيا في عصرها؛ فالمازني علمٌ من أعلام القرن الثالث الهجري، روى عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي، وروى عنه المبرّد واليزيدي، وكان لا يُناظر أحدًا إلاّ غلبه (ينظر: السيوطي، ١٩٧٩، ٤٦٣/١). وأمّا السجستاني فكان إمامًا في علوم القرآن واللغة والشعر والعروض، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وروى عن مَنْ روى عنهم المازني، وروى عنه ابن دريد(ينظر: السيوطي، ١٩٧٩، ٦٠٦/١). وأمّا أبو سعيد السّكري (ت ٢٧٥ هـ) فهو الراوية الثقة المكثر، أخذ عن المازني والرياشي (ت ٢٥٧ هـ)، وصنع من أشعار القبائل: شعر بني هذيل، وبني شيبان، وبني ضبة، وبني نهشل، وغيرها (ينظر: السيوطي، ١٩٧٩، ٥٠٢/١). وأمّا يموت بن المزرع فمن عبد القيس، صاحب أخبار ومُلح وآداب، وهو ابن أخت الجاحظ، غادر البصرة إلى بغداد سنة ٣٠١ هـ وهو شيخ كبير، وخرج منها إلى الشام فمات هناك (ينظر: البغدادي، ١٩٦٢، ١٩٨/٩).

وتطالعنا كتب التراجم بأبي غسّان دماذ نجمًا لامعًا في سماء اللغة عند ترجمتها لإخباريّ أو أديب، بل إنّ بعضها ينصّ نصًا على كونه من علماء البصرة، وبين كوكبة متألقة من لغوييها. وهذه طائفة لبعض التراجم:

- قال الصولي في الأوراق (ت ٣٣٥ هـ) في ترجمته لأبي الطيّب محمد بن عبد الله بن يوسف وزير المأمون: "كان شاعرًا كاتبًا ظريفًا راوية، قد سمع من علماء البصرة دماذ والمازني وأشباههما" (الصولي، ١٤٢٥هـ، ٢٤٠/١).

- وقال الصفدي في ترجمته لأبي دلف الخزاعي (ت ٣١٢ هـ): "هاشم بن محمد بن عبد الله أبو دلف، أديب أريب، زكي النفس، حريص على الطلب، ذو محل من العلم، روى عن الرياشي، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي، وأبي غسّان دماذ، وروى عنه أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني فأكثر ..." (الصفدي، ٢٠٠٠، ١٣٧/٢٧).

- وقال الخطيب البغدادي (ت ١٠٧١هـ) في معرض ترجمته ليموت بن المزرع: "قدم بغداد في سنة إحدى وثلاث مائة وهو شيخ كبير، وحدّث بها عن أبي عثمان المازني، وأبي غسّان رفيع بن سلمة دماذ، وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، ونصر بن علي الجهضمي، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي" (البغدادي، ١٩٦٢، ٥٢٣/١٦).

إنّ هذا السرد يقودنا إلى تقرير نتيجةٍ مفادها أنّ دماذًا مثّل بحقّ أنموذجًا للغويّ الذي لم يحظَ بنصيب وافر من الشهرة، والراوية الذي لم يُنزَل المنزلة اللائقة بهرغم الأثر اللغوي الذي تركه في التراث العربي والإسلامي، في وقتٍ لمعت فيه أسماء من أخذوا عنه، وممّن هم في منزلة تلامذته، شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء

الذين أغفلهم التاريخ، ولم يُبَوِّئْهم المكانة العلمية التي يستحقونها.

خامسًا: وفاتـه:

لا تذكر لنا المصادر التي عنت بالترجمة لدماذ شيئًا عن موته، بل سكتت كلّها عن ذكر الوفاة زمانًا ومكانًا، ولم يأت أيّ منها على زمنٍ ولو كان تقريبيًّا، وإن كان البحث قد ساق بعض الإشارات التي قد تشي بزمان الوفاة كصحبته لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ، وأَخْذِ عددٍ من أرباب اللغة عنه كالمازني المتوفى سنة ٢٤٩ هـ، والسجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ، والسّكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، إلاّ أنّ جميعها لا يمكن أن ينهض دليلاً قاطعًا على تاريخ وفاة دماذ، الأمر الذي يضطرنا إلى عدّه من لغويي القرن الهجري الثالث ليس غير.

المبحث الثاني: مروياته:

تناثرت مرويات دماذ بين كتب اللغة والغريب والمعاجم والأدب والبلاغة والتراجم والطبقات والتاريخ والأنساب، وقد وقع البحث على خمسٍ وثلاثين مروية منها غلب عليها الطابع الإخباري، وظهر فيها دماذ بين سلسلةٍ من الرواة والعلماء الرواة الذين عنوا بنقل الأخبار، وفيما يلي عرضٌ لموضوعات هذه المرويات، ومصادرها، وشواهدها، وقيمتها اللغوية.

أولاً: موضوعات المرويات:

توزعت موضوعات المرويات التي عالجها البحث بين: أخبار الخلفاء والأمراء والولاة، وأخبار الشعراء، وأخبار العرب، وأخبار النساء، بالإضافة إلى بعض القضايا النقدية التي قد يمسّها دماذ مسًّا دونما تعمق، فمن أخبار الخلفاء التي رواها ما نقله أبو هلال العسكري (ت ٣٨٢ هـ) في تصحيفات المحدثين: "وأخبرني أبو الفضل النيسابوري ويُعرف بابن الكوّاز، أخبرنا محمد بن يزيد المبرّد، حدّثنا رفيع بن سلمة دماذ، عن أبي عبيدة، عن أعين بن لَبَطة، عن أبيه، عن جدّه قال: دخلْتُ مع أبي على عليّ بن أبي طالب -كرّم الله وجهه - وبين يديه سيوفٌ يذوقها، فقال لأَبي: من أنت؟ فقال: غالب بن صعصعة، قال: ذو الإبل الكثيرة؟ قال: نعم، قال: فما فَعلْتَ؟ قال: ذَعْذَعَتْهَا النّوائبُ والحُتُوف، فقال: ذاكَ خيرُ سبُلِهَا. من هذا معكَ؟ فقال: هذا ابني هَمَّام، وهو يقول الشِّعر، فقال: علِّمْهُ القرآنَ فهو خيرٌ له" (العسكري، ١٤٠٢هـ، ٤٢١/٢-٤٢٢)، وقول ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في المجتبى: "أخبرنا محمد قال: أخبرنا أبو معاذ عن دماذ، قال: أخبرني أبو عبيدة، قال: إنْ كان الرجل ليقول لمعاوية: واللهلتستقيمنَّ يا معاوية أو لنقومنَّكَ! فيقول: بماذا؟ فيقول: بالخشب، فيقول: إذًا نستقيم" (ابن دريد، ١٩٦٢، ٢٧-٢٨)، وقول الخطيب البغدادي: "حدَّثنا رفيع بن سلمة، عن أبي عبيدة، قَال: كان المهدي يصلي بنا الصلوات في المسجد الجامع بالبصرة لمّا قدمها، فأقيمت الصلاة يوما، فقال أعرابي: يا أميرَ المؤمنين، لست على طُهر، وقد رغبتُ إلى الله في الصلاة خلفك، فمُرْ هؤلاء أن ينتظروني، فقال: انتظروه رحمكم الله ودخل إلى المحرابووقف إلى أن قيل له: قد جاء الرجل، فكبّر، فعجب الناس من سماحة أخلاقه" (البغدادي، ١٩٦٢، ٣٨٢/٣)، وقوله أيضًا: "حدثني أبو الفضل المروزي، عن أبي غسان رفيع بن سلمة، قال: حدثنا محمد بن الحجاج قال: قدم بشار علي المهدي بالرصافة، فدخل عليه، فأنشده نسيبا، فنهاه عن النسيب" (البغدادي، ١٩٦٢، ٦١٠/٧). إنّ مرويات دماذ هذه تُعنى بسياسة الملك، وما ينبغي أن يكون عليه الحاكم أو الخليفة من تمسكٍ بالدين، ونهيٍ عن انتهاك محرماته، وسرعةِ بديهةٍ تسعفه في المواقف التي تحتاج إلى ردٍّ آني، وحلم يجعله يتروى في مواقف قد تكون مدعاة للغضب، وسماحةِ أخلاقٍ تُظهره كمثال يحتذي به العامة من الناس.

وثمة مرويات أخرى تُعنى بأخبار شعراء من عصور مختلفة: جاهلية وإسلامية وعباسية، وهي تقدّم لنا صورًا من حياة أولئك الشعراء، لا يخلو بعضها من فكاهة وتندر، كما تظهر فيها فنون الشعر من غزلٍ ومدحٍ وهجاء، ومن أمثلة هذه المرويات ما جاء في فصل المقال للبكري، حيث قال: "حدث أبو غسان، دماذ ، عن أبي عبيدة قال: لما حضرتْ الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه، فقالوا: يا أبا مليكة أوصِ، فقال: ويلٌ للشعر من الرواة السوء، قالوا: أوصِ يرحمك الله قال: من الذي يقول:

إذا أنبضَ الرامون عنها ترنمتْ	ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

قالوا: الشماخ، قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب. قالوا: ويحكَ، أهذه وصية؟ قال: أبلغوا أهل ضابئ أنه شاعر حيث يقول:

لكل جـديدٍ لـذةٌ غـيرَ أنني	وجدتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ

قالوا: اتقِ الله ودع عنكَ هذا، قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول:

يغشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل

قيل: إن هذا لا يغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه، فقال:

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلّمُـهْ	إذا ارتقى فيه الذي لا يَعلمهْ
زلّتْ به إلى الحضيضِ قدمُـهْ	يريـدُ أن يعـربَهُ فيُعجمهْ

قيل: يا أبا مليكة ألك حاجة؟ قال: لا والله ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً" (البكري، ١٩٧١، ٣٢٣/١-٣٢٤)، وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٧٥١ هـ): "حدثنا يموت بن المزرع، حدثنا رفيع بن سلمة المعروف بدماذ، حدثنا أبو عبيدة معمر بـ المثنى قال: لقي جرير ذا الرمة فقال له: هل لك في المهاجاة؟ فقال ذوالرمة: لا، فقال جرير: كأنك هبتني؟ قال: لا والله قال: فلم لا تفعل؟ قال: لأن جرمك قد هتكهن، وما ترك الشعر في نسوانك مربعا" (ابن عساكر، ١٩٩٥، ١٨١/٤٨)، وجاء في بغية الطلب: "أخبرنا دماذ عن حماد بن شقيق قال: قال أبو سلمة الغنوي: قلت لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد؟ قال:إذًا والله أخبرك، إني لما قلت:

الله بيـني وبـين مـولاتـــي	أهدتْ لي الصدَّ والملالات
منحتُها مُهجتي وخالصتي	فكانَ هجـرانها مكافاتـــي
هيّمـني حبُّـها وصيّرني	أحدوثةً في جميع جاراتي

رأيتُ في المنام في تلك الليلة كأن آتيا أتاني فقال: ما أصبتَ أحدًا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى؟! فانتبهتُ مذعورا، وتبتُ إلى الله من ساعتي من قول الغزل" (ابن العديم، ١٩٨٨، ١٧٦٨/٤).

وهناك مرويات ثالثة في أخبار العرب وأيامها على نحو ما ذكر

المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في الموشح: "حدثنا الفضل بن الحباب عن دماذ، عن أبى عبيدة، قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وعنده الجحاف بن حكيم السلمي، وقدكان الجحّاف اعتزل حربهم تحرّجا ولم يدخل بشيء منها- فلما رآه الأخطل عند عبد الملك قال :

ألا أبلغ الجحّافَ هل هو ثائرٌ بقتلى أُصيبتْ من سليم وعامرِ

فخرج الجحّاف من عند عبد الملك وهو يجرّ مطرفه غضبا، فقال عبد الملك للأخطل: ما أراك إلّا قد جررتَ على قومك شرًا. ومضى الجحّاف، فأتى قومه وافتعل كتابا، وحشا جربا ترابا، وقال: إن عبد الملك قد ولّاني بلاد بني تغلب، وهذه الجرب فيها المال؛ فتأهّبوا وامضوا معي، فمضوا معه، فلما أشرف على بلاد بني تغلب نثر التراب، وخرّق الكتاب، وقال: ما من ولاية؛ ولكني غضبتُ لكم- وأخبرهم بقول الأخطل عند عبد الملك- فاثأروا بقومكم، فشدّ على بني تغلب بالبشر ليلا، وهم غارّون آمنون، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وهرب الأخطل من ليلته مستغيثا بعبد الملك، فلما دخل عليه قال:

لقدْ أوقعَ الجحّافُ بالبشرِ وقعةً إلى اللهِ منها المُشتكى والمعوّلُ

فإلّا تغيرْها قريش بملكِها يكنْ عن قريش مستمازٌ ومزحلُ" (المرزباني، ١٩٩٥: ١٨١).

وعلى نحو ما ورد في تاريخ دمشق: "أنا يموت بن المزرع بن يموت البصري، نا رفيع بن سلمة دماذ، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: جاء قوم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم إلى دغفل النسابة، فسلّموا عليه، وهو مولي ظهره للشمس في مشرفة له، فردّ عليهم من غير أن يلتفت إليهم، ثم قال لهم: من القوم؟ قالوا: نحن سادة مضر، قال: أنتم إذن قريش الحرم، أهل العز والقدم، والفضلوالكرم، والرأي في البُهَم؟ قالوا:لسنا منهم، قال: لا؟ قالوا: لا، قال: فأنتم إذًا هوازن أجرأوها فوارسا، وأجملها مجالسا؟ قالوا: لسنا بهم، قال: لا؟ قالوا: لا، قال: فأنتم إذًا سُليم فوارس عصاصها، ومناع أعراضها، قالوا: لسنا بهم، قال: لا؟ قالوا: لا، قال: فأنتم إذًا غطفان أعظمها أحلاما، وأسرعها إقداما، قالوا: لسنا منهم، قال: لا؟ قالوا: لا، قال: فأنتم إذًا بنو حنظلة أكرمها جدودا، وأسهلها خدودا، وأليبها جلودا، قالوا: لسنا بهم، قال: لا؟ قالوا: لا، اذهبوا لا، أفلا أراكم إلا من ربعات مضر، وأنتم تأبون إلا أن تترقوا في الغلاصم منهم، اذهبوا لا كثر الله بكم من قلة، ولا أعز بكم من ذلة" (ابن عساكر، ١٩٩٥، ١٧/٣٠٠-٣٠١).

أمّا القسم الرابع من هذه المرويات فتعالج قضايا أدبية ونقدية، شغل بعضها النقّاد منذ أقدم العصور، على نحو ما نرى في رواية المرشح: "أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو ذكوان قال: حدثنا دماذ، عن أبى عبيدة، قال: مرّ المسيّب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه، فأنشدهم:

ألا انعمْ صباحًا أيُّها الرّبعُ واسلمِ نحيّيك عن شحطٍ وإن لم تكلمِ

فلما بلغ قوله:

وقد أتناسى الهمَّ عند ادّكارِه بناجٍ عليه الصّيعريةمكدمِ

كميتٌ كناز لحمها حميريّة مواشكةٌ ترمي الحصى بمثلّمِ

كأنّ على أنسائها عذقَ خصبة تدلّى من الكافورِ غيرِ مكمّمِ

فقال طرفة -وهو صبيّ يلعب مع الصبيان-: استنوق الجمل، فقال المسيب: يا غلام، اذهب إلى أمك بمؤيدة، أي داهية" (المرزباني، ١٩٩٥: ٩٣). إنّ عبارة (استنوق الجمل) طارت بعد ذلك في النقد الأدبي عند العرب، وصارت معيارًا مهمًا في استعمال التراكيب، فطرفة اعتمد منزلة المعنى في نقده للتراكيب اللغوية، لأنّ (الصيعرية) سمة في عنق الناقة لا الجمل، وعلى نحو ما نرى في رواية أبي الفرج النهرواني (ت ٣٩٠ هـ) في الجليس الصالح: "حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال: حدثنا أبو العباس بن الفضل الربَعي، قال: حدثني أبو غسان رفيع بن سلمة، قال: حدثني محَمد بن الحجاج، قالَ: قَالَ بشارُ لأبي العتاهية: أَنْشدني، فأنشده:

كم من صديق لي أسا رقُهُ الْبكاءَ من الْحياءِ

فَإذا تفطّنَ لامــني فَأَقُولُ مَا بِي من بكاءِ

لَكِن ذهبت لأرتدي فطرفتُ عَيْني بالرداءِ

قَالَ بشار: مَا أشعرك وَيحك، لَوْلَا أَنَّك سرقتني، قَالَ: وَمَا قلت يَا أبا معَاذ؟ قَالَ قلت:

وَقَالُوا قد بَكَيْتَ فَقلتُ كلا وَقد يبكي من الْجزعِ الجليدُ

وَلَكِن قد أَصَابَ سَوادَ عَيْني عُوَيْدُ قذى لَهُ طرفٌ حَدِيدُ

فَقَالُوا مَا لدمعهما سَـوَاء أكلتا مقلتيك أصَابَ عودُ"

(النهرواني، ٢٠٠٥: ٥٠٦).

فالسرقات الشعرية إحدى القضايا النقدية الكبرى التي أثيرت في العصر العباسي، وقد خصّها النقاد المتقدمون بمزيد عناية حين أخذوا ينقّبون عن جوانب التشابه في أعمال الأقدمين من جاهليين وإسلاميين لدرجة أنّها صارت من القضايا النقدية المعقدة فيما بعد، ويزداد تعقيدها إذا علمنا بأنّ أغراض الشعر من وصفٍ ومديحٍ وهجاءٍ ورثاء تكاد تكون واحدةً، لا يكاد يسلم منها شاعرٌ من الشعراء أو يأتي بجديدٍ فيها. ويلاحظ في المرويتين السابقتين أنّ دماذًا اكتفى بنقلهما فقط دونما تعليق، فلم يُعن بإيراد رأيه فيهما قبولاً أو ردًا أو تفسيرًا أو إيضاحًا، بل التزم دور الراوية الذي ينقل الأخبار من غير إظهار موقف ما تجاه ما تحويه من فكرة، حتى وإن كان بعضها يعالج قضية نقدية يحسُن إبداء رأي فيها.

وثمة أمرٌ طريف في مرويات دماذ هذه، وهو أنّه لم يغفل النساء، فكان لأخبارهن وأشعارهنّ نصيب منها، ومن ذلك ما جاء في أشعار النساء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ): "حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال: حدثني يحيى بن يموت بن المزرع قال: حدثنا رفيع بن سلمة قال: حدثني أبو عبيدة قال: دخلت ليلى الأخيلية على الحجاج فأنشدته:

فنعمَ فتى الدنيا لئنْ كانَ فاجراً وفوقَ الفتى إنْ كانَ ليسَ بفاجرِ

فتىً هو أحيا من فتاةٍ حييــةٍ وأشجعُ من ليْثٍ بخفانَ خادرِ

فـتىً فيه فتيانيَّةٌ أريحيَّةٌ بقيَّـةُ أعرابيَـةٍ من مُهاجرِ

فقال فتى من جلساء الحجاج: والله أيها الأمير ما كان في توبة عشير ما تقول ليلى، فقالت ليلى: والله أيها الأمير لو رأى ذلك توبة لتمنى أن لا تبقى في داره بكر إلا حملت منه" (المرزباني، ١٩٩٥: ٣٩-٤٠). وما جاء في بلاغات النساء لابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ): "أنشدني الكراني قال: أنشدني دماذ لامرأة من عكل:

لئن ألفتْ عيني البكاءَ وأوحشتْ من النومِ إذْ أودى أخي والندى معا

لقد كانَ كهفاً للصديقِ فخلجتْ	به نكباتُ الدهرِ عني فودّعا

وأنشد لامرأة مجهولة:

لحا اللهُ دهراً نابنا بصروفِه	تقضي فلم يُحسنْ إلينا التقاضيا

فتى لم يكنْ يطوي على الكشحِ نفسه

إذا ما انتجتْ نفساه في الأمرِ خالياً" (ابن طيفور، ١٩٠٨: ١٨٨).

ثانيًا: مصادره في الرواية:

مثّل أبو عبيدة المصدر الرئيس للرواية عند دماذ، حيث روى عنه في اثنين وعشرين موضعًا من المواضع الخمسة والثلاثين، تلاه الأصمعي الذي روى عنه في ثلاثة مواضع، ثم أبو زيد الأنصاري، والمدائني، والهيثم بن عدي، وحماد بن شقيق، وإسماعيل بن بشر، وغيرهم، ولكل واحد من هؤلاء رواية واحدة فقط، فلم تتوقف مرويات دماذ عند صاحبه أبي عبيدة، بل تجاوزته إلى الرواية عن غيره كالأصمعي مثلاً على نحو ما ورد عند النهرواني حيث قال: "حدثنا الحسين بن محمد بن خالويه النَّحويّ، قالَ: حدثني اليزيدي، قالَ: حدثني أبو موسى، عن دَماذ، عن الأَصْمَعِيّ قَالَ: حرَّم خالدُ بن عبد اَللَّه القَسري الْغناء، فَأَتَاهُ حُنَيْنُ بن بَلْوَع مَعَ أَصحاب المَظالم ملتحفًا عَلَى عُود، فَقَالَ: أصلح اللَّه الأَمِير شيخ كَبِير ذُو عِيال، كَانَتْ لَهُ صناعَة حِلَتَ بَينه وَبينهَا، قالَ: وما ذَاك؟ فَأَخْرج عُودَه وغَنّى:

أَيهَا الشامتُ الْمُعيِّرُ بالشيـ	ـب أَقِلّنَّ بالشَّباب افْتِخَارَا
قَدْ لبستُ الشبابَ قبلَك حينًا	فوجدتُ الشَّبَاب ثوبًا مُعَارَا

فبكى خالِد، وقالَ: صدق واللَّه إن الشَّبَاب لثوبٌ معار، عد إِلَى مَا كنت عَلَيْه، وَلَا تجَالس شَابًّا وَلَا معربدا" (النهرواني، ٢٠٠٥: ٣٩٦).

وثمة ملحوظة أخرى في مصادر الرواية عند دماذ، وهي أنّها لم تصلنا من فرع علميّ محدد كأن يكون اللغة أو الأدب، بل وردت من فروع علمية متنوعة لغوية وغير لغوية، إذ الباحث عنها سيجدها تارة في كتب اللغة والأدب والبلاغة، وتارة في كتب التاريخ، وتارة في كتب الأنساب، ولعلّ مرجع هذا التنوع هو عناية هذه الفروع جميعًا بموضوع الأخبار التي كان دماذ رائدًا من روّادها.

ثالثًا: شواهده في المرويات:

طالعتنا المرويات التي مضى ذكرها بلغةٍ مسبوكةٍ بليغةٍ عالية، ليس فيها تكلف أو مبالغة أو إطناب، وقد غُذّي بعضها بأبيات شعرٍ مناسبة للمواقف التي ترد فيها، ولو تساءل متسائل عن شواهد دماذ في مروياته لكانت الإجابة: الشعر في المقام الأول، ولا غرابة أن تكون الأشعار شواهده الأولى وربّما الوحيدة، ذلك أنّ الإخباريين من الرواة كانوا "يأنسون بحلقات الشعر وروايته ويشاركون فيها بما يعرفون" (الشلقاني، ١٩٧١: ٧٨). ومن المرويات التي نقلها دماذ عن صاحبه أبي عبيدة، ويظهر فيها اعتماده الشعرَ شاهدًا مع شيء من الطرافة والأنس ما نقله ابن دريد في كتابه المجتبى إذ قال: "أخبرنا محمد قال: أخبرنا أبو معاذ عن دماذ، عن أبى عبيدة قال: كتبمعاوية إلى على بن أبى طالب: يا أبا الحسن، إنّ لي فضائل كثيرة: كان أبى سيدًا في الجاهلية، وصرتُ ملكًا في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخال المؤمنين، وكاتب الوحي، فقال على كرم الله وجهه: أبالفضائل تفخر عليّيا ابن آكلة الأكباد! ثم قال: اكتب يا غلام:

محمدٌ النبيُّ أخي وصهري	وحمزةُ سيدُ الشهداءِ عمي
وجعفرُ الذي يُمسي ويُضْحِي	يطيرُ مع الملائكةِ ابنُ أمـي
وبنتُ محمدٍ سَكَني وعِـرْسي	مَسُوطٌ لحمُها بدمـيولحمي
وسِبطا أحمدَ وَلداي مـنها	فأيُّكُمُ له سهمٌكسهمي
سبقتُكمْ إلى الإسـلامِ طُرًّا	صغيرًا ما بلغتُ أوانَ حُلمي

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب، لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبى طالب" (ابن دريد ، ١٩٦٢: ٢٥-٢٦).

رابعًا: القيمة اللغوية لهذه المرويات:

تُظهر النماذج السابقة من المرويات أنّ دماذًا كان لا يُعنى برواية الآراء النحوية أو الصرفية شأنه في ذلك شأن صاحبه أبي عبيدة، بل اكتفى برواية اللغة وتحديدًا الأخبار منها، كما اختلف عن سابقيه من الإخباريين مثل الأصمعي، الذي يظهر في مواقف كثيرة من مروياته مفسرًا، قابلاً لبعض الآراء رادًا لبعضها الآخر، ناقدًا لشعر الشعراء، أمّا هو فلا يُعنى كثيرًا بالتعليق على الكلمات أو القضايا التي يحويها الخبر، كما تتوقف شواهده في الغالب عند شعر العرب.

ولا يُسلّم البحث هنا بأنّ هذا القليل الذي وصلنا من آثار دماذ يمثل المرويات كاملة، ذلك أنّ منزلته اللغوية -التي مضى الحديث عنها- تُظهره ضليعًا في الأخبار والأنساب والأشعار، ولا يكفي ما وصل منها أن يكون أساسًا للحكم على جميع وجوه نشاطه العلمي، والتعرف على أعماله اللغوية، غير أنّه يمثّل أنموذجًا ربّما عبّر عن هذا النشاط.

إنّ القيمة اللغوية الحقيقية لمرويات دماذ هذه تتمثل في المقام الأول في توثيق الآثار اللغوية لأبي عبيدة ولغيره، ونسبتها إلى أصحابها روايةً وتوريقًا، بخاصة إذا علمنا أنّ الكثير من علماء اللغة لم يكتبوا كتبهم بأيديهم، ولم يكن العلم الذي يلقونه على طلابهم وفي حلقات الدرس مدونًا في كتب، بل اعتمد أغلبهم على المشافهة والحفظ، لذا برز دور الرواة في الحرص على تدوين ما يُلقى عليهم، وجمع الروايات بعضها إلى بعض.

المبحث الثالث: موقفه من إضمار (أنْ)... عرضٌ ورأي:

أولاً: تبرّمه من (أنْ) المضمرة:

يتناقل أرباب التراجم عند حديثهم عن دماذ موقفًا حدا به إلى قول أبياتٍ من الشعر، أمّا الموقف فهو أنّه كان قد أقبل على قراءة النحو إلى أنْ وصل إلى باب الواو والفاء وقول الخليل وأصحابه أنّ ما بعدهما من المضارع ينتصب بإضمار (أنْ)، فساء فهمه لهذه المسألة ، وقاده سوء الفهم هذا إلى استياءٍ عبّر عنه بأبياتِ شعرٍ بعث بها إلى أبي عثمان بكر بن محمد المازني شيخ البصرة في زمانه وقال فيها:

تفكّرتُ في النحو حتى مَلِلْتُ	وأتعبتُ نفسىبه والبدنْ
وأتعبتُ بكرًا وأصحابَه	بطولِ المسائلِ في كلِّ فنْ
فَمِنْ عِلْمِهِ ظاهرٌ بيّـنٌ	ومن عِلمِه غامضٌ قد بَطَنْ
فكنتُ بظاهره عالمًا	وكنتُ بباطِنِه ذا فَطَنْ
خلا أنّ بابًا عليه العفا	ءُ للفاءِ يا ليتَهُ لم يكنْ

وللـواوِ بـابٌ إلى جَنْبِـهِ   مِن المقتِ أحسبُهُ قد لُعِـنْ
إذا قلتُ: هاتوا لـمـاذا يقـا   ل: (لستُ بآتيكَ أو تأتيَنْ)
أجيبـوا لـمـا قيل هذا كذا   على النصب قالوا بإضمار أنْ
ومـا إنْ رأيتَ لهـا موضعا   فأعرفُ ما قيـلَ إلا بظـنّ
فقد خفتُ يا بكرُ من طول ما   أفكّرُ في أمرِ(أن) أن أُجَـنْ

(ينظر: القالي، ١٩٨٩: ١٨٦، وابن عبد البر، ١٩٨١، ٦٨/١، والقفطي، ١٩٨٢، ٥/٢).

وأردف أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) بعد نقله هذه الأبيات: "يعني ببكر أبا عثمان المازني، قال أبو العباس: فبلغ ذلك المازني فقال: واللهِ ما أحسبُ أنّه سألني قطّ، فكيف أتعبني؟!" (القالي، ١٩٨٩: ١٨٦).

يُمثّل موقف دماذ هذا موقف المتعلم الذي أقبل على طلب النحو وتعلّم مسائله وأبوابه، غير أنّه اصطدم ببعض القواعد التي تحول دون تحقق الفهم بسبب بعض التقديرات التي عمد إليها النحاة، ومن أشهر هذه التقديرات نصب الفعل المضارع بعد (الواو) و(الفاء) و(أو) بأنّ المضمرة حرصًا منهم على اختصاص العامل واطّراد القاعدة، لذا راح دماذ في أبياته هذه ينعت هذا الباب مرة بـ (ليته لم يكن)، ومرة بـ (المقت)، ومرة بـ (أحسبه قد لُعن) بأسلوب شيّق يعتمد الحوار تارةً، والاستفهام تارةً أخرى من غير أن يخلو من طرافة، ليخلص إلى نتيجة مفادها أنّ ما قاله نحاة البصرة في هذه المسألة ما هو إلاّ ظنون لا أساس لها، وافتراضات لا قيمة لها، وليختم أبياته هذه بخاتمة طريفة أيضًا:

فقد كِدتُ يا بكرُ من طول ما أفكّرُ في أمر (أنْ) أن أُجـن

إنّ هذه الأبيات تظهر صاحبنا أبا غسّان من أوائل اللغويين الذين عارضوا هذا الاستعمال الذي يقول بإضمار أنْ، ويجنح إلى التقدير مع وجود أدوات مذكورة، ولا غرو أنْ نعدّها من أوائل المواقف الرافضة لهذا العمل، ذلك أنّها ترتدّ زمنًا إلى القرن الهجريّ الثالث،ولعلّ دماذًا بهذا الموقف قد فتح الباب لكثيرٍ من الباحثين في الدعوة إلى تيسير النحو وتخليصه من كثيرٍ من التقديرات التي لا طائل منها، وربّما كان في مقدمة هؤلاء ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) الذي اعترض على مسألة الإضمار هذه، فقال: "وممّا قالوا فيه ما لا يُفهم، وأضمروا فيه ما يخالف مقصد القائل أبوابُ نصب الفعل، وقد تكلمتُ منها على باب (الفاء) و(الواو) ليُستدل بهما على غيرهما، ويُعلم أنّ ما أضمروه لا يُحتاج إليه في إعطاء القوانين التي يُحفظ بها كلام العرب" (القرطبي، ١٩٨٢: ١٢٣).

والحقُّ أنّ هذه المعارضة تفرض علينا طرح تساؤل مهم، وهو: ما مدى الحاجة إلى هذا الإضمار؟ وبخاصةٍ في المواقف التعليمية التي تقتضي اليسر والوضوح؟ وهل يحتاج المتعلم فعلاً إلى مثل هذه التقديرات؟

ثانيًا: آراء النحاة في إضمار أنْ:

الإضمار في معاجم اللغة هو: الإخفاء، والاستقصاء، والإسقاط، وإسكان التاء مـن (متفاعلن) في البحر الكامل(ينظر: الفيروزآبادي، ١٩٩٤، مادة ضمر، وابن منظور، ١٩٩٩، مادة ضمر)، وعرّفه الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) اصطلاحًا بقوله: "ترك الشيء مع بقاء أثره" (الجرجاني، ١٩٨٧: ٥١)، وعرّفه التهانوي بقوله: "ما تُرك من اللفظ، وهو مراد بالنية والتقدير، مثل قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي: أهلها، ترك ذكر (الأهل) وهو مراد، لأنّ سؤال القرية محال" (التهانوي، ١٩٩٦، ٢١٩/١).

وقد اختلف نحاة البصرة والكوفة في ناصب الفعل المضارع بعد الفاء والواو وأو وحتى ولامي التعليل والجحود، أمّا الفاء فقد ترد متصلةً بالفعل المضارع في جواب النفي، والنهي، والأمر، والاستفهام، والعرض، والتمني، فيُنصب، نحو: (ما أتيتني فأعطيَكَ)، و(لا تنقطعْ فنجفوَكَ)، و(أعطني فأعطيَكَ)، و(أما تأتينا فتحدثَنا؟)، و(ألا تأتينا فتحدثَنا)، و(ليتكَ تأتينا فتحدثَنا)؛ فالبصريون على أنّه منصوب بـ (أنْ) مضمرة والفاء عاطفة، ومذهب بعض الكوفيين أنّه منصوب بالفاء نفسها، وهو مذهب أبي عمر الجرمي أيضًا، ومذهب بعضهم الآخر أنّه منصوب بالخلاف. (ينظر: الأنباري، ١٩٦١، مسألة ٧٦، والمرادي، ١٩٩٢: ٧٤، والسيوطي، ١٩٧٥، ١١٨/٤، والكنغراوي، ١٩٦٤، ١١٦ -١١٧).

والأمر لا يختلف كثيرًا في ناصبه -أي المضارع- بعد الواو؛ إذ الخلاف فيها كالخلاف في (الفاء) التالية للمضارع المنصوب، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران، ١٤٢)، فرأي البصريين أنّ (يعلمَ) منصوب بـ (أنْ) مضمرة، ورأي الجرمي أنّه انتصب بـ (الواو) نفسها، وتابعه في ذلك بعض الكوفيين (ينظر: الأنباري، ١٩٦١، مسألة ٧٥، والمرادي، ١٩٩٢: ١٥٧)، ورأى بعضهم الآخر -أي الكوفيين- أنّ الناصب هنا هو (الصرف)؛ ومعناه: مخالفة ما بعدها لما قبلها، واشترط ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) في (واو) الصرف هذه أن يتقدمها نفي أو طلب (ينظر: ابن هشام، ١٩٩٩، ٤١٦/٢).

وأمّا (أو) فهي عند نحاة البصرة عاطفة ليس غير، والمضارع بعدها منصوب بإضمار أنْ، وهي عند نحاة الكوفة ناصبة للمضارع بعدها (ينظر: المالقي، ١٩٨٥: ٢٣١- ٢٣٢، والكنغراوي، ١٩٦٤: ١١٧)، وقيل: "مذهب الكسائي أنّ (أو) هذه ناصبة بنفسها، وذهب قومٌ من الكوفيين منهم الفرّاء إلى أنّه انتصب بالخلاف" (المرادي، ١٩٩٢: ٢٣٢)، وقد اصطلح الزجّاجي على (أو) هذه بـ(الصرف) وجعلها بمعنى: إلاّ أن (ينظر: الزجاجي، ١٩٨٦: ٥١). ومن شواهدهم جميعًا على هذا الاستعمال قول امرئ القيس بن حجر:

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُكَ إنّما   نحاولُ ملكًا أو نموتَ فنُعـذرا

(ينظر: حداد، ١٩٨٤، شاهد رقم ١١٩١).

و قول عروة بن الورد:

فسِرْ في بلادِ اللهِ والتمس الغنى   تَعِشْ ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعْذرا

(ينظر: حداد، ١٩٨٤، شاهد رقم ١١٢٤).

إنّ المدقق في هذه الآراء سيجد أنّ نحاة البصرة التزموا نهجًا واحدًا في هذه الأدوات السابقة للفعل المضارع؛ وهو أنّها لا تعمل شيئًا، بل انتصب المضارع بعدها بإضمار (أنْ)، فيما انقسم الكوفيون بين قائلٍ بعملها فهي ناصبة بنفسها، وقائلٍ بأنّها غير عاملة وما بعدها منصوب بالصرف أو بالخلاف، وثمة رأي يلفت الانتباه لعالم بصريّ جليل هو أبو عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ) الذي جعل هذه الأدوات ناصبة بنفسها مخالفًا بذلك أصحابه البصريين، ومتجاوزًا بذلك التقدير والإضمار، فإذا علمنا أنّ الجرميَّ كان رأسًا من رؤوس

مدرسة البصرة، وكان نظيرًا للمازني، وإليهما معًا انتهى علم النحو في زمانهما حقّ لنا أن نتمعن في رأيه هذا ونتبصر به، وأن لا نحمله على باب الرغبة في مخالفة القوم فقط، ذلك أنّ أصحابه البصريين إنّما انطلقوا من مبادئ وأصول حين قالوا بهذا الإضمار، وجعلوا منها -أي المبادئ والأصول- مقاييس للعمل، فما وافق منها قُعِّد، وما لم يوافق قُدِّر.

ثالثًا: الإضمار .. أصوله ومبادئه:

وضع النحاة عددًا من القواعد التي تحكم العمل النحوي عامةً، لعلّ في مقدمتها قولهم: "إذا أمكن نسبة العمل إلى الموجود لم يُصر إلى مجاز الحذف" (السيوطي، ٢٠٠٣، ٢٥٦/٢)، فهذه قاعدةٌ في العمل تحدث النحويون عنها كثيرًا، وجعلوا في ضوئها العامل المذكور مُقدَّمًا على العامل المحذوف، ثمّ جعلوا العامل المذكور لفظيًا ومعنويًا، فقدموا اللفظي وجعلوه مراتب، وهكذا. فإذا كان الأمر كذلك حقَّ لنا أن نتساءل : ما دواعي الإضمار؟ وما هي مسوغاته؟ ثمّ: ألا يؤدي هذا الإضمار إلى نوعٍ من التعمية والغموض مسببًا إشكالاً في حقل الأدوات؟

قرّر أرباب اللغة أنّ الإضمار سنةٌ من سنن العرب، وطريقةٌ من طرقهم في الكلام، ومقصدٌ من مقاصدهم في التعبير، فقال الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ): "ومن سنن العرب الإضمار، إيثارًا للتخفيف، وثقةً بفهم المخاطب، فمن ذلك إضمار (أنْ) وحذفها من مكانها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (الرعد، ١٢) ؛ أي: أنْ يريكم البرقَ، وقال طرفة :

ألاَ أيُّهَذا الزّاجري أحضرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللذاتِ هلْ أنتَ مُخلِدي

فأضمر (أنْ) أولاً، ثمّ أظهرها ثانيًا في بيت واحد، وتقديره: ألا أيهذا الزاجري أنْ أحضر الوغى" (الثعالبي، ١٩٧٢: ٣٤٠).

إنّ دواعي الإضمار عند الثعالبي هي التخفيف، والثقة بفهم المخاطب، وكأنّه يومئ إلى أنّ الأداة العاملة لها حضور في اللفظ وحضور في المعنى، فإذا أُضمرتْ لفظًا تحقق التخفيف في الكلام، وتحققتْ الثقة بفهم المخاطب، لأنّ المعنى ما زال باقيًا، وتابع السيوطي الثعالبي فيما ذكر فقال: "ومن سنن العرب الإضمار، إمّا للأسماء نحو: ألاَ يا اسلمي؛ أي: يا هذه، أو للأفعال نحو: أ ثعلبًا وتفرّ؟ أي: أ ترى ثعلبًا؟ ومنه إضمار القول كثيرًا، أو للحروف نحو: (ألاَ أيُهَذا الزّاجري أشْهَدَ الوغى)؛ أي: أن أشهدَ" (السيوطي، ١٩٨٦، ٣٣٧/١).

وإذا ما خصّصنا الحديث أكثر في حقل الأدوات، فسنجد أنّ الإضمار فيها خلافُ الأصل، كما هو الحال في الاسم والفعل لأنّ الأصل هو الإظهار، هذا أمر، وأمرٌ آخر أنّ النحاة كانوا قد صنفوا جلّ الأدوات من العوامل الضعيفة (ينظر: السهيلي، ١٩٨٤: ٣١٧-٣١٨)، والعامل الضعيف لا يجوز فيه الإضمار ولا الحذف؛ لأنهم أقاموا عمل الأداة على أصل عام هو: "العمل أصلٌ في الأفعال فرعٌ في الأسماء والحروف، فما وُجد من الأسماء والحروف عاملاً، فينبغي أن يُسأل عن الموجب لعمله" (السيوطي، ٢٠٠٣، ٢٣٨/٢)، فعمل الأدوات بحسب أصلهم هذا بطريق الفرعية لا الأصالة.

وما من شك في أنّ الإضمار أو الحذف قد يؤديان إلى خفاء المعنى، والاختلاف في الأحكام، وبخاصة إذا كان المضمر أو المحذوف عاملاً من العوامل الضعيفة، لذا نصّ النحاة على نسبة العمل إلى الموجود ما أمكن ، وتجنب الإضمار والحذف قدر المستطاع. غير أنّ السؤال الذي ينبغي أن يُطرح هنا: إذا كان النحاة قد منعوا حذف العامل وبقاء عمله، أو منعوا حذفه من غير بدل، وإذا كانت مجرورات الأسماء ونواصب الأفعال وجوازمه عوامل ضعيفة عندهم لمَ أعمل النحاة بعضها وتركوا بعضها؟ لمَ أنكر البصريون عمل (أو) و (الفاء) و (الواو) و(لامي) التعليل والجحود النصب في المضارع؟ لمَ جعل سيبويه وأكثر النحويين (إذن) ناصبة بنفسها، ولم يجعلوا بقية أخواتها تنصب؟ لمَ مالوا إلى الإضمار رغم الإشكال الذي يثيره؟ لمَ جعل نحاة البصرة دماذًا وغيره ممّن يُقبل على تعلم النحو يتبرّم من هذه القاعدة ويشكو من هذا الاستعمال؟

رابعًا: رأيٌ في المسألة:

إنّ جواب هذه التساؤلات ربّما كان واحدًا، ومرجع هذا الإشكال ربّما كان واحدًا أيضًا، وهو أنّ نحاة البصرة كانوا قد ألزموا أنفسهم بقاعدة (الاختصاص في العمل)، فلا يعمل عاملٌ إلاّ إذا كان مختصًا باسم أو بفعل، وهم على ما يبدو أنكروا عمل (أو) و(الفاء) و(الواو) و(كي) و(لامي) التعليل والجحود النصب في المضارع لأنّ هذه الأدوات غير مختصة تدخل على الاسم وعلى الفعل معًا .

وقد يعترض معترضٌ بأنّ (أنْ) المصدرية الناصبة اختُصت بأحكام تحدث عنها النحاة طويلاً وكثيرًا على نحو ما نرى عند المرادي الذي قال: "أنْ المصدرية هي إحدى نواصب الفعل المضارع بل هي أم الباب، وتعمل ظاهرة ومضمرة" (المرادي، ١٩٩٢: ٢١٧)، والسيوطي الذي نقل عن عبد اللطيف البغداديقوله في اللمع الكاملية: "ليس في الحروف الناصبة للفعل ما ينصب مضمرًا إلاّ (أنْ) خاصة، كما أنّه ليس فيها ما يجزم مضمرًا سوى (إنْ)" (السيوطي، ٢٠٠٣، ٢٤٧/٣)، وقول السيوطي نفسه: "أنْ: أصل النواصب للفعل وأم الباب بالاتفاق، كما نقله أبو حيان في شرح التسهيل، ومن ثمّ اختُصّتْ بأحكام منها: إعمالها ظاهرة ومضمرة وغيرها لا ينصب إلاّ مظهرًا، ومنها: أجاز بعضهم الفصل بينها وبين منصوبها بالظرف والمجرور اختيارًا قياسًا على (أنّ) المشددة بجامع اشتراكهما في المصدرية والعمل نحو: (أريدُ أنْ عندي تقعدَ وأنْ في الدارِ تقعدَ)، ولم يُجوّز أحدٌ ذلك في سائر الأدوات إلاّ اضطرارًا" (السيوطي، ٢٠٠٣، ٢٤٤/٣).

لقد خصّ النحاة (أنْ) هذه بأحكام تميزها عن غيرها ولا اعتراض على هذا، بل أن تُخصّ أمهات الأبواب بأحكام لا تتوافر لغيرها بسبب كثرة استعمالها التي هي مظنة التغير أمرٌ في محلة، غير أنّ الإشكال يتحدد في تقديرها مضمرة مع وجود أداة أخرى ظاهرة تُهمل بحجة عدم الاختصاص، فـ (أو) و(الفاء) و (الواو) و(لاما) التعليل والجحود كلها قد يقع المضارع بعدها فينتصب بإضمار (أنْ)عند البصريين، ولا مسوغ هنا للعدول عن الإظهار إلى الإضمار، ولا مبرّر للجوء إلى العامل المقدّر مادام العامل اللفظي موجودًا.

إنّ رأي أبي عمر الجرمي وبعض الكوفيين الجاعل هذه الأدوات ناصبةً بنفسها رأيٌ أقرب إلى طبيعة اللغة، ليس فيه تكلف إضمار، وما قد يستتبعه من تكلف تقدير، وهو رأي لا يتعارض مع ما قُرّر

من دواعي الإضمار كالتخفيف والاختصار والثقة بفهم المخاطب، ذلك أنّ هذه الدواعي إنّما تنطبق على الأداة المضمرة من غير بدل، أمّا أن تكون الأداة ظاهرة ثمّ تُضمَرُ أداةٌ أخرى فهذا أمرٌ قد يحتاج إلى مراجعة.

إنّ مجمل القول هنا أنّ دماذًا كان محقًّا في تبرّمه من هذا الاستعمال، ذلك أنّه ينبني على تقديرات مفرطة في البعد عن طبيعة اللغة التي تقتضي البيان والوضوح، ويعتمد على مبادئ وأصول ألزم فيها بعض النحاة أنفسهم، ثم بحثوا عن الإضمار عند تعارضها مع العمل النحوي، كما يمثّل تبرّمه هذا موقف أي متعلم يُقبل على النحو ومسائله، إذ لا حاجه له بالتقديرات مع وجود أدوات ظاهرة قد تفي بالمراد.

خاتمة:

حمل هذا البحث عنوان (دماذ: راوية أبي عبيدة وصاحبه ... حياته ومروياته وموقفه من إضمار أنْ)، وسعى أن يُعرِّف بشخصية لغوية مغمورة في التراث العربي والإسلامي هي شخصية رفيع بن سلمة العبدي، فجمع المعلومات الخاصة بها من مظانها، وصنّفها في ثلاثة مباحث، ليخرج في نهايته بالنقاط الآتية:

- مثّل دماذ بحقّ أنموذجًا للغوي الذي لم يحظَ بنصيب وافر من الشهرة، والراوية الذي لم يُنزّل المنزلة اللائقة به رغم الأثر الذي تركه في التراث.

- لم تتوسع المظان التي ترجمت لدماذ في ذكر تفاصيل وافية عنه، فهي لم تذكر لنا زمنًا لميلاده أو مكانا، ولا طرفًا من نشأته أو طلبه للعلم، كما سكتتْ جميعها عن وفاته فلم تورد لنا تاريخًا له، الأمر الذي جعل الدراسة تعدّه من لغويي القرن الهجري الثالث ليس غير.

- خير وصفٍ لعلاقة دماذ بأبي عبيدة أنّها كانت صحبةً علميةً لغويةً، أفاد منها دماذ أيّما فائدة، وراح ينقل فيها عن أبي عبيدة ما تيسّر له من لغة وأخبار وأيام وأنساب، مستعينًا بالرواية تارةً وبتوريق الكتب تارةً أخرى.

- أجمعتْ الكتب التي عنت بالترجمة لدماذ أنّه كان ثقةً صدوقًا، وكان أوثق الناس عن أبي عبيدة فيما ينقل من أخبار، ولم تُشر أيّ منها إلى ما يقدح في أمانته أو صدقه.

- وقع البحث على خمسٍ وثلاثين مروية من مرويات دماذ، غلب عليها الطابع الإخباري، وتوزعت موضوعاتها بين أخبار الخلفاء والأمراء والولاة، وأخبار الشعراء، وأخبار العرب، وأخبار النساء، بالإضافة إلى بعض القضايا النقدية التي يمسّها مسًّا دونما تعمق.

- كان أبو عبيدة المصدر الرئيس للرواية عند دماذ، إذ روى عنه في اثنين وعشرين موضعًا من المواضع الخمسة والثلاثين، تلاه الأصمعي الذي روى عنه في ثلاثة مواضع، ولوحظ في هذه المرويات أنّها لم ترد من فرع علميّ واحد، بل جاءت من فروع علمية متنوعة لغوية وأدبية وتاريخية.

- استشهد دماذ بالشعر في المقام الأول شأنه في ذلك شأن الإخباريين من الرواة الذين كانوا يأنسون بحلقات الشعر وروايته ويشاركون فيها بما يعرفون.

- تظهر القيمة اللغوية الحقيقية لمرويات دماذ في توثيق الآثار اللغوية لأبي عبيدة ولغيره، ونسبتها إلى أصحابها، في وقت اعتمد فيه أغلب علماء اللغة على المشافهة والحفظ، لذا برز دور الرواة في الحرص على حفظ هذا التراث بالرواية والتدوين.

- مثّل موقف دماذ من إضمار (أنْ) موقف المتعلم الذي أقبل على طلب النحو، وتعلّم مسائله وأبوابه، غير أنّه اصطدم ببعض القواعد التي تحول دون تحقق الفهم بسبب بعض التقديرات التي عمد إليها النحاة، لذا عبّر عن ضجره من هذا الإضمار وهذه التقديرات، وربّما كان من أوائل اللغويين الذين عارضوا هذا التقدير الذي يقول بالإضمار مع وجود أدوات مذكورة.

- رجّح البحث رأي أبي عمر الجرمي وبعض الكوفيين الجاعل (أو) و(الفاء) و (الواو) و(لامي) التعليل والجحود ناصبةً بنفسها للمضارع؛ لأنّه رأيٌ أقرب إلى طبيعة اللغة، ليس فيه تكلف إضمار وما قد يستتبعه من تكلف تقدير.

المراجع

الأنباري، أبو البركات، ١٩٦١، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.

البغدادي، الخطيب أبو بكر أحمد بن علي، ٢٠٠٢، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ١٩٧٥، شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ١٩٧١، فصل المقال في شرح كتب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس، ط (١)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

التهانوي، محمد علي، ١٩٩٦، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت.

الثعالبي، أبو منصور، ١٩٧٢، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق وترتيب: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط (٣)، مطبعة الحلبي، القاهرة.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف، ١٩٨٧، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت.

حداد، حنّا جميل، ١٩٨٤، معجم شواهد النحو الشعرية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

الحموي، ياقوت بن عبد الله، ١٩٩٣، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، ط (١)، دار الغرب

الإسلامي، بيروت.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ١٩٦٢، المجتبى، ط(٢)، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد.

الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن، ١٩٨٤، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط (٢)، دار المعارف، القاهرة.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق، ١٩٨٦، حروف المعاني، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ودار الأمل، بيروت.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي، ١٩٨٤، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ط (٢)، دار الاعتصام، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين، ٢٠٠٣، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين، ١٩٧٩، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط(٢)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، ١٩٦٦، شرح شواهد المغني، تعليق: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، ١٩٨٦، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح: محمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، ١٩٧٥، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

الشلقاني، عبد الحميد، ١٩٧١، رواية اللغة، دار المعارف، القاهرة.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ٢٠٠٠، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، ١٤٢٥هـ، الأوراق (قسم أخبار الشعراء)، شركة أمل، القاهرة.

ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، ١٩٠٨، بلاغات النساء، تصحيح وشرح: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، ١٩٨١، بهجة المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة، ١٩٨٨، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت.

ابن عساكر، علي بن الحسن، ١٩٩٥، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ١٩٨٩، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد السديري، ط (١)، مكتبة الرشد، الرياض.

العسكري، الحسن بن عبد الله ١٤٠٢هـ، تصحيفات المحدثين، تحقيق: محمود أحمد ميرة، ط (١)، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة.

ابن غيهب، بكر بن عبد الله ١٩٨٧، طبقات النسابين، ط (١)، مكتبة الرشد، الرياض.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ٢٠٠٠، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، ط (١)، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ١٩٩٤، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط (٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، د.ت، النوادر، دار الكتب العلمية، بيروت.

القرطبي، ابن مضاء، ١٩٨٢، الرد على النحاة،، تحقيق: شوقي ضيف، ط (٢)، دار المعارف، القاهرة.

القفطي، علي بن يوسف، ١٩٨٢، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط (١)، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

الكنغراوي، صدر الدين، ١٩٦٤، الموفي في النحو الكوفي، شرح: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.

المالقي، أحمد بن عبد النور، ١٩٨٥، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، ط (٢)، دار القلم، دمشق.

المبرد، محمد بن يزيد، ١٩٩٢، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط (٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

محمد فواد عبد الباقي، ١٩٩٢، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط (٣)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

المرادي، الحسن بن قاسم، ١٩٩٢، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق : فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت.

المرزباني، محمد بن عمران، ١٩٩٥، أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني، ط (١)، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت.

المرزباني، محمد بن عمران، ١٩٩٥، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٩٩٩، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط (٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الميمني، عبد العزيز، ١٩٩٥، بحوث وتحقيقات، ط (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن النديم، محمد بن إسحاق، ٢٠٠٩، الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، لندن.

النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا، ٢٠٠٥، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت.

هارون، عبد السلام محمد، ١٩٦٥، تحقيق النصوص ونشرها، ط (٢)، مطبعة الحلبي، القاهرة.

هارون، عبد السلام محمد، ١٩٧٣، نوادر المخطوطات، ط (٢)، مطبعة الحلبي، القاهرة.

ابن هشام: عبد اللهبن يوسف، ١٩٩٩، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.